البلاغة التعليمية، كتاب (كيف تتقن البلاغة؟) انموذجًا

مراجعة مقال Subject Rview

أ.م زينب جمعة جاسم

zainab.j@comc.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد/ كلية الإعلام

الملخص

تكشف البلاغة العربية عن قيمة الإبداع التأثيري للجملة العربية، ومقدار القيمة الجمالية لها، فالبلاغة تتجاوز القيمة الخبرية الإيصالية للكلام إلى مديات أكثر إبداعا، وتأثيرا، وعليه فإن دراستها تمثل نقطة التقاء اللغة بالأدب. إن جوهر الاهتمام بالبلاغة العربية يعتمد على الإجابة المقنعة على سؤال ظل كبيرا؛ وهو ما سر إعجاز القرآن الكريم؟ وعلى هذا السؤال دارت الأبحاث اللغوية والأدبية عبر العصور.

هذا المقال محاولة لمراجعة كتاب تعليمي يحاول أن يقدم تيسيرا للطلبة في فهم دروس البلاغة مع مراعاته الاختصار والتبسيط، واختار له المؤلف سؤالاً جذّابا يختزل به جوهر الاهتمام بهذا العلم؛ وهو (كيف تتقن البلاغة؟)، ويقدم المقال مقاربة في فهم مزيات الكتاب، ونقاط ضعفه، وجدية البحث في تجربة التأليف في هذا العلم.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، التعليم، الاتقان.

Educational rhetoric: The book "How to Master Rhetoric?" as a model

Assis Prof Zainab Juma Jassim

University of Baghdad/ College of Mass Communication

Abstract:

Arabic rhetoric reveals the value of the impactful creativity of the Arabic sentence, and the extent of its aesthetic value. Rhetoric goes beyond the informative and communicative value of speech to more creative and impactful dimensions. Therefore, studying it represents the meeting point of language and literature. The essence of interest in Arabic rhetoric depends on providing a convincing answer to a question

that has remained a major one: What is the secret of the miraculous nature of the Holy Qur'an? Linguistic and literary research has revolved around this question throughout the ages.

This article is an attempt to review an educational book that tries to make it easier for students to understand rhetoric lessons while considering brevity and simplicity. The author chose an attractive question that summarizes the essence of interest in this science: (How do you master rhetoric?). The article presents an approach to understanding the advantages of the book, its weaknesses, and the seriousness of the research in the experience of authorship in this science.

Keywords: rhetoric, education, mastery.

بوابة: في أهمية البلاغة:

قد يتبادر إلى ذهن القارئ المبتدئ أنّ البلاغة علم خاص بتحسين الكلام فحسب؛ إنما هي –في الواقع– قانون للتفكير عند العرب؛ إذ تكمن أهميتها في أبعاد ثلاثة، هي:

- المفتاح القرآني: إذ لا يمكن تدبر القرآن، وفهم وجه الإعجاز فيه، ودقة نظمه، وأسباب التقديم والتأخير في كلماته، أو استعمال صيغ دون أخرى، إلّا من طريق بوابة البلاغة. إذ هي الأداة التي تحول القراءة من مجرد (سرد) إلى (تدبر).
- تنمية الذوق النقدي وإبرازه لدى القارئ: إذ تنقل البلاغة الطالب من مجرد كونه متلقٍ سلبي للنص، إلى متذوق لجمالية الألفاظ وزخرفتها وناقد لها، بإمكانه أن يميز ويفرق بين السيء والجيد، والغثّ والسمين من الألفاظ والأساليب، ويكتشف الجاذب والمؤثر في النفس البشرية منها.
- حفظ اللغة والأدب: فنلحظ اليوم ما حصل من تداخل في اللغات، الأمر الذي أدى إلى تراجع الفصحى، فتسعى البلاغة لتكون حصنا يحمي التراكيب العربية من الركاكة في الألفاظ، وتعليم المتحدث بكيفية مطابقة كلامه لمقتضى الحال، وهذا هو جوهرها، وسر وجودها.

إن من أهم العقبات والتحديات التي تواجه تدريس البلاغة العربية الجفاف النظري للبلاغة؛ إذ نرى من خلال هذه العقبة تحول البلاغة في كثير من المناهج إلى مجرد قوالب رياضية (تشبيه واستعارة وكناية) منفصلة عن الروح الأدبية للنص؛ الأمر الذي أصاب الطلاب بالملل والكلل والعزوف عن دراسة هذه المادة المهمة.

وكذا وعورة الشواهد العربية القديمة وصعوبة فهمها؛ فالاعتماد على الشواهد الشعرية للعصر الجاهلي؛ التي عادة ما تكون مليئة بالألفاظ الغريبة والوحشية جعل الطلاب ينشغلون بفك طلاسم الألفاظ والمفردات وحل أسرارها، وينسون الجانب الجمالي والزخرفي للألفاظ.

ودعك عن كثرة التشعبات والتعقيدات، وكثرة التقسيمات والتفريعات الخاصة بعلم المعاني التي جعلت الطالب يتيه في المصطلحات؛ كالمسند، والمسند إليه، والإيجاز، والإطناب، ... الخ، من دون محاولة ربط تلكم المصطلحات بالمعنى العام.

إن هذه الصعوبات والتحديات التي تواجه تدريس مادة البلاغة، تجعل التوصل إلى إيجاد بعض الحلول والمقترحات لتدريس مادة البلاغة أمرا واجبا، ولعل تجربة كاتب هذا الكتاب واحدة من تلكم التجارب التي كان يؤرقها تعليم هذا العلم المهم.

عرض مفصل لكتاب (كيف تتقن البلاغة):

يمثل الكتاب –الذي بين أيدينا– محاولة جادة وعملية لردم الهوة لما يعانيه الطالب من صعوبة المصادر التراثية وحاجته لفهمها. مؤلفه أحمد إسكندر في (دار اللؤلؤة / مكتبة لسان العرب) وقدم للطبعة السابعة سنة ٢٠٢٤ ميلادية، بأسلوب يجمع ما بين "التنظير" "والتطبيق ".

ينطلق كتاب (كيف تتقن البلاغة؟) من مبدأ التبسيط الجدولي، فهو يعتمد على الجداول، والتقسيمات، والخرائط الذهنية، مع الإكثار من الشواهد القرآنية والسنة النبوية، والشواهد الشعرية، ويبتعد –في الوقت نفسه – عن السرد النثري الطويل للشروح.

يسير الكتاب على وفق المنهجية التقليدية لتقسيم علوم البلاغة، ويعد هذا التقسيم من التقسيمات المنطقية المتدرجة، وهذه التقسيمات تكون على وفق الآتي:

* المقدمات: بدأ الكتاب بتعريف الفصاحة والبلاغة، ذاكرا شروط فصاحة الكلام والمتكلم؛ أي خلو الكلمة من تنافر الحروف الذي يحصل بسبب تقارب مخارجها، وغرابة المفردات ومخالفتها للقياس، وضعف التأليف، والتعقيد اللفظي، والمعنوي.

* الفصل الأول في علم المعاني الذي هو العمود الفقري للكتاب، إذ تناول فيه: الخبر والإنشاء (أغراضهما، ضروبهما، خروجهما عن مقتضى الحال الظاهر). وأحوال المسند والمسند إليه (الحذف، الذكر، التقديم، التأخير، التعريف، التنكير). والقصر، والفصل والوصل، والإيجاز، والإطناب، والمساواة.

* الفصل الثاني في علم البيان: التشبيه، المجاز المرسل والعقلي، الكناية، الاستعارة).

* الفصل الثالث في علم البديع: المحسنات اللفظية والمعنوية).

تكمن أهم الميزات التي أمكن رصدها في هذا الكتاب؛ لتكون بمثابة نقاط قوة تجعله مرجعا ممتازا مفيدا للطلاب، في:

- التنظيم البصري؛ أي (الخرائط الذهنية): فنلحظ، لجوء الكتاب في بداية كل مبحث إلى " خريطة ذهنية " تلخص موضوع الدرس كاملاً؛ إذ تعد هذه الميزة من الميزات التربوية النافعة؛ التي تساعد الطالب على لملمة الموضوع واختصاره قبل الخوض في تفاصيله.
- كثرة التطبيقات القرآنية ووفرتها: فنلحظ أن الكتاب غني بالآيات القرآنية، الأمر الذي يجعل الطالب أكثر اهتماما بالنص القرآني؛ ليحقّق الغاية الأسمى للبلاغة.
- التدرج في الشرح؛ فهو عندما يذكر مصطلحا معينا، يبدأ بتعريفه، ومن ثم يذكر أمثلة توضيحية عليه؛ يبين من خلالها موضع الشاهد ويشرحه بدقة.
- وضع جداول للمقارنات؛ فنلحظ أن الكتاب يستخدم الجداول للمقارنة، كاستعانته بالجداول ليبين الفرق بين الاستعارة المكنية والاستعارة التصريحية، أو في تفصيل أنواع الخبر؛ ليسهل عملية الحفظ والمراجعة.
- التدريبات المجاب عنها؛ إذ نرى تدريبات محلولة بشكل مفصل في نهاية كل مبحث من مباحث الكتاب؛ الأمر الذي يعزّز التعلّم الذاتي عند الطالب.

و على الرغم من جودة الكتاب ووضوحه فإننا نلمس بعض الصفات التي يمكن أن تعد مأخذاً عليه؛ منها:

- لاختزال الشديد؛ إذ يسعى الكتاب –أحيانا– إلى التبسيط، فقد يمر الكتاب مرورا سريعا على قضايا خلافية في البلاغة تحتاج إلى شرحها مفصلاً لها؛ وقد يبرر هذا الاختزال بأن الكتاب موجه الى الطلاب، وليس للعلماء.
- سيطرة النمطية المدرسية التعليمية على الكتاب؛ إذ صمم الكتاب ليكون عبارة عن مذكرة دراسية ممتازة ومختصرة للامتحانات، الأمر الذي يؤدي إلى تغليب الجانب القاعدي على الجانب التذوقي الجمالي المسترسل، فهو يعلّم قواعد البلاغة بأسلوب واضح وممتاز، لكن في الوقت نفسه تحتاج البلاغة الي قراءة النصوص الأدبية بشكل جاذب ومطول.
- تكرار الشواهد الكلاسيكية؛ استعانة الكاتب في مقدمة الفصاحة بالأمثلة التراثية المعقدة جدا؛ كما في (الهمخع)، وبيت امرئ القيس الذي استخدم مفردة (مستشزرات) فيه، فعلى الرغم من صحتها العلمية، إلا إنها قد تكون صادمة بالنسبة للطالب المعاصر المبتدئ..

عكس الكتاب أسلوبا تعليميا تقريريا مباشرا، ولغة عربية فصحى سليمة، غير معقدة. يتبنى مبدأ أخذ القاعدة وتطبيقها، وهو أسلوب ناجح جدا في المرحلة التأسيسية للطالب في المرحلتين (الثانوية، والجامعية)، إذ نراه يبتعد عن الحشو الزائد والاستطرادات التي تمتلئ بها كتب البلاغة القديمة، مثل كتب شروح التلخيص.

إن المكتبة العربية بأمس الحاجة لمثل هذا الكتاب؛ لأن الكتب القديمة، مثل كتب الجرجاني، والسكاكي صعبة جدا على الطالب في وقتنا الحاضر. والكتب المدرسية غالبا ما تكون جافة

غير مترابطة. وهذا الكتاب مرحلة وسطى؛ فهو يحافظ على رصانة المادة العلمية التراثية، وفي الوقت نفسه يقدمه بثوب عصري حديث، معززا بجداول وخرائط تقرب الأفكار المعقّدة فيه إلى الأذهان.

خاتمة، وتوصيات:

إن التجربة التي يقدمها الكتاب ذات قيمة كبيرة في تطوير مناهج تعليم البلاغة العربية، وتقريبها إلى الأذهان، وهي خلاصة خبرة مؤلفها في تدريس هذا العلم، ومحاولة تجاوز العقبات التي تحول دون فهم البلاغة والإفادة منها، إلّا إن التجربة تحتاج لتطوير وتقريب يتجاوز نقاط الضعف فيها، وتكرار تجربتها بأساليب تعتمد التطور الإلكتروني الذي يواكب العصر.

المصادر:

- إسكندر، أحمد، كيف تتقن البلاغة؟ دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع، مصر، ط/7، 2024هـ - 1445م.
- الهاشمي، أحمد بن إبراهيم (ت 1362هـ)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصيملي، المكتبة العصرية، بيروت، بلا معلومات.